**تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري، السنة الأولى ماستر حضري**

المحاضرة الرابعة مدرسة شيكاغو روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية

المدينة كنظام إيكولوجي، الحضرية،

نظرية Ernest Burgess، الاندماج الاجتماعي و علاقته بالحراك المجالي والاجتماعي.

**تمهيد:**

ينظر بارك وبارجس وأتباعهما إلى المدينة باعتبارها نظاما ايكولوجي يتغير باستمرار، ويحكم تنظيمها الاجتماعي عمليات المنافسة والتكافل، وفيها يتعلم الأفراد كيف يتنافسون (حول الموارد النادرة) فرادى وجماعات، وتختلف الطبيعة الحقيقية في العلاقات التنافسية عبر الزمن وترتبط بالظروف البيئية. ولكي يحقق هؤلاء العلماء أهدافهم نظروا إلى الكائنات البشرية مثلها مثل بقية الأشياء الأخرى على أنها تعيش في نطاق محدد أطلقوا عليه المجتمع المحلي.

فهمت الايكولوجيا على أنها علاقة الكائن الحي ببيئته، ويدرك الايكولوجيين المدينة – والمجتمع الحضري بصفة عامة- على أنها تنظيمات اجتماعية تحتل مواقع جغرافية. ومن ثم قام عدد من علماء الاجتماع المهتمين بايكولوجية المدن بوضع عدد من النظريات عن التوزيع المساحي والجغرافي للناس والخدمات في المدن، وذلك بعد أن قاموا بدراسة عدد من المدن يتفاوت من باحث وأخر.

**2 ـ نظرية الدوائر متحدة المركز (الدوائر المركزية) لـ ايرنست بيرجس (1886-1966):**

تعتبر نظرية بيرجس التي قدمها عام 1925 عن الدوائر المتحدة المركز وقد يطلق عليها اسم نظرية المناطق المتمركزة أو نظرية الفرض الحلقي من أولى المحاولات وأهم النظريات التي بذلت في التحليل الايكولوجي للمدن، ويفترض (بيرجس) في هذه النظرية أن نمو المدينة يأخذ شكل سلسلة من الدوائر المتتالية، وتختلف كل دائرة أو منطقة في طريقة استخدام الأرض .بحيث أن البناء الداخلي للمدن يمكن أن يتبلور حول دوائر تتحدد في مركزها، حيث تضم كل دائرة لونا من النشاط، وان المحور الرئيسي تتركز حوله النشاطات المختلفة، أي أن توزيع السكان والخدمات في المدينة يتم في شكل حلقات حول مركزها الرئيسي.

حيث عالج بيرجس نمو المدينة في ضوء امتدادها الفيزيقي وتمايزها في المكان، وإن هذه الحلقات الخمس تتمثل في نظره مناطق متتابعة من الامتداد الحضري، وهو في تأكيده لهذا الوصف الفيزيقي ذهب إلى أن ظاهرة النمو الحضري هي نتيجة لازمة لعمليات التنظيم والتفكك في نفس الوقت، تشبه تماما عمليات الهدم والبناء في الكائن العضوي. ولا تقتصر الدراسة الايكولوجية من وجهة نظره على مجرد وصف النمو الفيزيقي للمدينة، بل تمتد إلى لتشمل دراسة نتائج هذا النمو وأثاره على التنظيم الاجتماعي والشخصية... وهدف من خلال نموذجه المثالي الذي قدمه أن يكشف عن القوى الدينامية الكامنة والتي تحكم نمو المدينة، وما يترتب عليها من تغير في بنائها الايكولوجي. وخلص إلى انه مع الانتقال من مركز المدينة إلى أطرافها الخارجية تميل معدلات الانحراف والمعدلات النوعية للتركيب السكاني ونسبة الأجانب والأقليات العنصرية إلى التناقص التدريجي، على عكس ملكية المسكن التي تأخذ في الارتفاع المطرد بالابتعاد عن مركز المدينة. وانطلاقا من ذلك فإن المدينة تنمو على شكل حلقات ودوائر متناقصة ومتعددة المراكز وهي:

أ- منطقة الأعمال المركزية: وتسمى منطقة الأعمال المركزية، وتقع هذه المنطقة في مركز المدينة وهذا المركز هو بؤرة الحياة التجارية للمدينة التي يوجد فيها النشاط التجاري حيث توجد في وسط المدينة وتوجد فيها المحلات التجارية الكبرى. وهي منطقة يسهل الوصول إليها من أي نقطة داخل المدينة، وفيها ترتفع أسعار الأراضي، وتتركز فيها الأنشطة التي تحتاج إلى موقع مركزي وتتحمل أسعار الأرض المرتفعة وتحتل هذه المنطقة ناطحات السحاب، المحلات التجارية، والفنادق والمطاعم، والمسارح، والمتاجر المتخصصة، وتنتشر فيها سياحة التسوق.

ب- المنطقة الانتقالية أو التحول: وهي تحيط بمنطقة الأعمال المركزية ويطلق عليها اسم منطقة التحول أو المنطقة الانتقالية وتسكنها جماعات ذات مستوى اجتماعي اقتصادي منخفض، بالإضافة إلى المهاجرين الريفيين. وتتميز بالتغير المستمر والكثافة السكانية العالية وضعف المستوى المعيشي وانتشار الأمراض الاجتماعية وتدهور المساكن وانتشار المخازن والملاهي... الخ. بمعنى آخر هي منطقة الوافدين الجدد إلى المدينة والتي تعتبر من الأقليات العنصرية والإثنية. وهذه المنطقة حسب برجس هي معرضة باستمرار لعمليتي الغزو والاحتلال تمارسها منطقة الأعمال المركزية الدائمة النمو والتوسع.

جـ- منطقة سكن العمال: وكما يدل عليه المصطلح ذاته، فهي منطقة العمال وأصحاب المهن الكتابية وأطفال المهاجرين، وما يميز هذه الفئة هو تطلعهم الدائم إلى تحين مستوى معيشة أطفالهم ودفعهم إلى مستوى أعلى في السلم الاجتماعي. ولذلك فهي منطقة انتقال لعمال الصناعة الهاربون من المنطقة الثانية الذين يرغبون في السكن بالقرب من أماكن عملهم. وتعتبر الإقامة فيها أفضل من المنطقة الثانية. أضف إلى ذلك، يوجد بها الجيل الثاني من المهاجرين الشباب الطموحين، كما توجد بها منازل أفضل تتكون من أربعة أو خمسة أدوار. ولكنها تعتبر مناطق مزدحمة حيث يقيم سكان الطبقة الدنيا من السكان.

حـ- منطقة سكانية أفضل: وتتكون من مساكن تقطنها أسر وحيدة، إلى جانب الشقق والعمارات الجميلة وبعض فنادق الإقامة. كما تعتبر هذه المنطقة ملجأ الفئة ذات الدخل المتوسط. حيث تتكون أساسا من الفيلات وأحياء الأعمال المحلية.

خـ- منطقة السفر اليومي أو الضواحي: وتسمى منطقة الضواحي، أو منطقة السفر اليومي وتقع في حدود المدينة، وعلى امتداد خطوط المواصلات الممتدة من قلب المدينة بشكل نصف قطري، حيث يسكنها ذووا الدخل المرتفع في حين أن معظم سكانها يعيشون تنقل يومي في اتجاه أماكن العمل. هذا وقد لاحظ بيرجس من دراسته أن نسبة السكان الذين يملكون البيوت التي يسكنونها تتزايد كلما بعدنا عن مركز المدينة، كما لاحظ أيضا أن نسبة تشرد الأحداث والبغاء ونسبة الأجانب أيضا تتزايد في وسط المدينة وتقل كلما ابتعدنا عن المركز.

**النقد الموجه لنظرية بيرجس حول الدوائر المركزية:**

أولا محدودية نموذجه المثالي، حيث يفتقر إلى الحدود الواقعية، فحدود المناطق تم وضعها بطريقة تعسفية، كما أن البحوث المختلفة كشفت عن تنوع كبير في المهن في حدود المنطقة الواحدة. (وكذلك الإسكان المختلف)، أضف إلى ذلك أن هذا النموذج لا ينطبق على الكثير من مدن العالم كما بينته الكثير من الدراسات التي أجريت في إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية، ومن ثم فبساطة نموذج بيرجس يعود لإغفال الأسباب الاجتماعية للتوزيع الايكولوجي بحسب البعض.